journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 36	العدد: 03	السنة: 2022	الصفحة: 15–33	تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36	N°: 03	Year: 2022	pages: 15-33	Date of Publication : 21-12-2022

الآليات المقاصدية لإصلاح العقل في السنة النبوية

Intentional Mechanisms for Reforming the Mind in the Prophetic Sunnah

د. سلاف لقيقط

Erahma_soulef@hotmail.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة

تاريخ الإرسال: 2022/10/02 **تاريخ القبول:** 2022/12/07

الملخـــص:

صلاح العقل مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويقوم على أمرين هما: إصلاح الاعتقاد وإصلاح التفكير، وقد جاء هذا البحث ليبرز اهتمام السنة النبوية بهذا المقصد، وإسهاماتها في تحقيقه من خلال تسليط الضوء على الآليات التي وظفها النبي-ﷺ- لإنجاح هذه العملية على المستويين.

الكلمات المفتاحية: الآليات، مقصد، إصلاح، العقل، السنة النبوية.

Abstract:

The prime purpose of Sharia, is to set the mind on the path of righteousness, it is based on two things: reforming belief and reforming thinking.

Hence, this paper solicits to demonstrate the momentum Sunnah has accorded to the mind reformation endeavor and its contribution in achieving it, by highlighting the mechanisms employed by the Prophet –PBUH-to make this reform process a success on both levels.

Keywords: Mechanisms, purpose, reform, mind, Sunnah.

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين؛ وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن الله خلق الكون، واستخلف الإنسان فيه لعمارته، **وكرمه بالعقل** سمة له عن سائر خلقه، ووسيلة يدرك بها الحقائق من حوله، وأداة يميز بها بين الخير والشر، ويوازن بها بين المصالح والمفاسد، لأجل هذا حرصت جميع الشرائع السماوية وفي مقدمتها الإسلام الذي جاء لتحقيق المصالح ودرء المفاسد على حمايته من دخول الخلل عليه، والارتقاء بالأداء الوظيفي المناط به، سعيا منه لإصلاح نظام العالم من خلال تحسين حال العنصر الفاعل فيه وهو الفرد.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 15-33 Date of Publication : 21-12-2022

فإصلاح العقل مقصد أصيل من مقاصد الشريعة الإسلامية، ومطلب رئيس من مطالبها، ويقوم صلاحه على أمرين أساسيين، هما: صلاح الاعتقاد، وصلاح التفكير.

أما صلاح الاعتقاد؛ فهو سبيل العقل لإدراك المفاهيم الصحيحة، والنأي به عن الخرافات والدجل والعقائد الفاسدة، ومجاله عالم الغيب.

وأما صلاح التفكير؛ فهو سبيل التفعيل الحقيقي للعقل بتحفيزه على النظر والبحث والاجتهاد، والنأي به عن الجمود والتعطيل، ومجاله عالم الشهادة.

على أن إصلاح الاعتقاد هو المنطلق الرئيس لإصلاح التفكير، ذلك أن العقيدة الصحيحة هي منشأ الفكرة الصحيحة، والعكس.

ولأهمية استقامة العقل في العملية الإصلاحية، **جاء الهدي النبوي** ليرسم معالم الطريق لبلوغ هذه الغاية، ويرشد إلى آليات تحقيقها.

– فإلى أي مدى أسهمت السنة النبوية في ذلك؟

– وما هي الآليات التي وظفتها لإنجاح هذه العملية؟

وإجابة عن هذا الاستشكال، وإبرازا لهدي المصطفى–ﷺ–في ذلك جاء هذا المقال الموسوم بـــ: "**الآليات المقاصدية لإصلاح العقل في السنة النبوية**".

وهو موضوع لم يتناول بالدراسة من هذه الزاوية –في حدود اطلاعي–.

وقد ارتأيت عرض مادته العلمية في المباحث الآتية:

– المبحث التمهيدي: ضبط مفاهيمي لمصطلح المقصد والإصلاح والعقل والسنة النبوية.

– المبحث الأول: الآليات المقاصدية لإصلاح الاعتقاد وتأثيرها على صلاح العقل في السنة النبوية.

– المبحث الثاني: الآليات المقاصدية لإصلاح التفكير وتأثيرها على صلاح العقل في السنة النبوية.

– الخاتمة.

المبحث التمهيدي: ضبط مفاهيمي لمصطلح المقصد والإصلاح والعقل والسنة النبوية.

1/–مفهوم المقصد.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 15-33 Date of Publication : 21-12-2022

– **لغـــة:** تطلق كلمة "قصد" على: الاستقامة، الاعتدال، الاعتزام، الأَمّ والتوجه نحو الشيء. (منظور، صفحة 179/1). والمقصد: موضع القصد. (مصطفى، صفحة 738/2)

– **اصطلاحا:** مقصود الشارع: غايته وهدفه. (قلعهجي، صفحة 52/2)

ومن الألفاظ المرادفة للفظ المقصد: الهدف، الغاية، الغرض، الحكمة. (حامدي، صفحة 20)

2/– مفهوم الإصلاح.

– **لغة:** نقيض الإفساد. (منظور، صفحة 384/7).

والصلاح: الاستقامة والسلامة من العيب، (مصطفى، صفحة 520/1)

– **اصطلاحا:** تلافي خلل الشيء (المناوي، التوقيف ، صفحة 67/1).

وقيل: "الإصلاح جعل الشيء صالحا...وهو كون الشيء بحيث يحصل به منتهى ما يطلب لأجله ". (عاشور م.، صفحة 355/2)

وعليه نلحظ أن الإطلاق الاصطلاحي لكلمة الإصلاح موافق للاستعمال اللغوي.

3/– مفهوم العقل.

– **لغة:** العَقْل هو الحابس عن ذَميم القَول والفِعل، والعَقل: نقيض الجهل، ورجل عَقُول؛ إذا كان حسَنَ الفَهم (فارس، صفحة 69/4).

وللفظة "العقل" معاني، منها: الحِجر والنهى، ضد الحمق، التثبت في الأمور واستجماع الأمر والرأي، القلب، التمييز (منظور، صفحة 326/9).

– **اصطلاحا:** يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل (الأصفهاني، صفحة 110/2).

فهو: "ملكة وغريزة ونور وفهم وبصيرة، وهبها الله–ﷻ–للإنسان، ولذلك فهو ليس عضوا ولا حاسة من الحواس، فوجوده في الأذهان وليس في الأعيان، وهو المستوى الأعلى–في الإدراك–لما فوق الحواس (عمارة، صفحة 8)

وعليه يمكن القول أن العقل هو: أداة للعلم والفهم وإدراك الحقائق والتمييز بين الأشياء، والمنع والحبس عن إتيان المفاسد من الأقوال والأفعال والتورط في المهالك، ويطلق على القلب.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 15-33 Date of Publication : 21-12-2022

وانطلاقا من تعريف كلمتي الإصلاح والعقل، يمكن تقرير أن المراد **بإصلاح العقل**: تلافي دخول الخلل عليه، لأن دخول الخلل على العقل يؤدي إلى فساده، ومن ثَمَّ إعاقته وتعطيله عن أداء وظيفته.

4/– مفهوم السنة النبوية.

– **لغـــة**: السيرة و الطريقة (منظور، صفحة 220/13).

– **اصطلاحا**: ما أضيف إلى الرسول–ﷺ–من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية (السخاوي، صفحة 10).

فالسنة: هي الهدي العام الذي كان عليه النبي–ﷺ–، وهي مرادفة للحديث (المعلمي، صفحة 14).

المبحث الأول: الآليات المقاصدية لإصلاح الاعتقاد وتأثيرها على صلاح العقل في السنة النبوية.

إصلاح الاعتقاد هو تنوير العقل بالمفاهيم الصحيحة الموافقة للفطرة السليمة التي فطر الخالق الخلق عليها، وتطهيره من كل التصورات الباطلة، وتخليصه من الشبهات الزائفة التي تحجب عنه نور الحق، وتفسد عليه توازنه، وتخل بأدائه الوظيفي، وقد اعتمد الإصلاح العقدي في السُنة مجموعة آليات، كان لها الأثر البالغ في إصلاح مقصد العقل، يمكن تحديدها في النقاط الآتية:

1/–آلية تصحيح المعتقد بالدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك وسد الذرائع إليه.

يقول **ابن عاشور**: "لا جرم أن العقيدة أساس التفكير، وهي الفكرة الأولى للإنسان فيما هو خارج عن حاجته، فإذا رُبّي العقل على صحة الاعتقاد تنزه عن مخامرة الأوهام الضالة، فشب على سبر الحقائق والمدركات الصحيحة، فنبا عن الباطل وتهيأ لقبول التعاليم الصالحة والعمل للحق" (أصول النظام الاجتماعي، صفحة 50).

فعقيدة التوحيد تنظم "حياة الإنسان النفسية، وتوحد نوازعه، وتفكيره وأهدافه، وتجعل كل عواطفه، وسلوكه، وعاداته، قوى متضافرة، متعاونة ترمي كلها إلى تحقيق هدف واحد هو الخضوع لله وحده، والشعور بألوهيته، وحاكميته ورحمته، وعلمه لما في النفوس، وقدرته، وسائر صفاته. وكل صفة أساسية من صفات الألوهية، يقابلها في النفس الإنسانية جانب من جوانب الحياة النفسية، فلا سعادة للنفس ولا استقامة، ولا انضباط إلا إذا ارتبط كل جانب من جوانبها بما يناسبه من معاني الألوهية" (النحلاوي، صفحة 70).

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 15-33 Date of Publication : 21-12-2022

وفي حديث عثمان عند مسلم (168) إلماح إلى ذلك، فقد سأل الرسول-ﷺ-فقال: "قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك، قال: [**قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ**]"، حيث "جمع له في قوله: [**قل آمنت بالله**] معاني صلاح الاعتقاد، وفي قوله: [**استقم**] معاني صلاح العمل" (عاشور م.، أصول النظام الاجتماعي ، صفحة 45)، مقدما الإيمان على الاستقامة في إشارة إلى أن هذه الأخيرة هي الغاية المرجوة من التوحيد، وأن الإيمان بالله أساس كل استقامة ومرتكز كل صلاح سواء على مستوى التفكير ومحله العقل، أو على مستوى السلوك ومحله سائر الجوارح.

وحقيقة الاستقامة الاعتدال، وهي ضد الاعوجاج، وتستعمل كثيراً في معنى ملازمة الحق والرشد، لأنه شاع تشبيه الضلال والفساد بالاعوجاج والالتواء (عاشور م.، صفحة 273/11).

وهي درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها (النووي، صفحة 9/2).

وعلى هذا فالاستقامة وصف جامع لخصال الخير والصلاح .

هذا وقد كان أول ما بعث به-ﷺ-تصحيح العقيدة بنشر التوحيد وإبطال الشرك ومعتقدات الجاهلية، فجاءت الكثير من الأحاديث النبوية تدعو إلى الإيمان بالله وحده، وإخلاص العبودية له سبحانه، والكفر بكل ما سواه، بل اعتبره النبي-ﷺ- خير الأعمال وأفضلها، ففي الصحيحين (1447–258): "سئل النَبِيّ-ﷺ-: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قال: [**إِيمَانٌ بِاللَّهِ**]".

وعدَّ-ﷺ-الشرك بالله أعظم الذنوب، فعن ابن مسعود فيما رواه الشيخان(5655–267)قال: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: [**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**]" فيه تنبيه إلى أن حق الخالق على المخلوق أن يفرده بالعبادة الخالصة، وهو ما تقتضيه الفطرة السوية والمنطق السليم.

وكان-ﷺ-شديد الاهتمام بتوضيح أصول هذه العقيدة وبيان أركانها، وتبليغها في صورة ناصعة، ففي الصحيحين (2892–7540) أن الرسول-ﷺ-قام في الناس "فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: [**إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ...وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**]"

كما كان-ﷺ-حريصا على سد ذرائع الشرك، واجتثاثه من جذوره، فنهى عن المبالغة في مدحه بما يتجاوز به مقام الرسالة، مؤكدا عبوديته لله-ﷻ-، روى البخاري (3261) أنه-ﷺ- قال: [**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**].

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 15-33 Date of Publication : 21-12-2022

ونهى عن اتخاذ التماثيل في البيوت، ففي الصحيحين (3053–5637) قال–ﷺ–: [**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا صُورَةُ تَمَاثِيلَ**]".

وحذر من اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، فقال–ﷺ–فيما رواه الشيخان (425–1215): [**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**].

2/–آلية نقض التصورات الفاسدة، وإبطال الأوهام، وتحرير العقل من الخرافة والدجل.

تعتبر التصورات الفاسدة بمثابة الران تحجب عن العقل سنا الحقيقة، وتحول بينه وبين الهدى والحق.

وقد تصدى المصطفى–ﷺ–لكل ما يأسر العقل، ويغيب الوعي، ويشيع الأوهام، ويبث الأراجيف والأباطيل، فحرم الكهانة والسحر ونهى عن التطير وغيرها من معتقدات الجاهلية الفاسدة.

روى البخاري (5431) أن الرسول–ﷺ–قال: [**اجْتَنِبُوا الْمُوبِقَاتِ؛ الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ**]. والموبقات هي المهلكات، والسحر أحدها وهو عبارة عن التمويه والتخييل، وله تأثير في الأبدان بالأمراض والموت والجنون، لذلك كان العمل به كفر، وتعليمه وتعلمه من الكبائر. (النووي، صفحة 88/2).

وعن معاوية–رضي الله عنه– فيما رواه مسلم (5949) قال: "قلت: يا رسول الله! أمورا كنا نصنعها في الجاهلية؛ كنا نأتي الكهّان، قال: [**فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ**] قال: قلت: كنا نتطير. قال: [**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ**]" أما الكهان فلما يبثونه من أكاذيب.

وأما التطير وهو التشاؤم، واعتقاد الشر والضرر في المتشاءم منه، فنهيه–ﷺ–إنما هو عن العمل بالطيرة والامتناع من التصرف بسببها، لا عما يوجد في النفس من غير عمل على مقتضاه، فذلك أمر غير مكتسب فلا تكليف به (النووي، صفحة 23/5).

وفي الصحيحين (5380–5919) قال–ﷺ–: [**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ**]، زاد مسلم (5926): [**ولا نَوْء**]، وفي أخرى (5928): [**ولا غول**].وهي أوهام وخيالات لا أصل لها، كانوا في الجاهلية يعتقدونها.

ونهى أيضا عن الرقى والتمائم لاعتقادهم تأثيرها، وهو اعتقاد باطل يفضي إلى الشرك، فقال فيما رواه أبوداود (3883) وصححه الألباني في السلسلة (331): [**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**].

وفي الصحيحين (1101–2161): "انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم، فقال الناس: انكسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال–ﷺ–: [**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ...**]".

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 15-33 Date of Publication : 21-12-2022

وهو إبطال لما كانوا يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض وإعلام بأن الشمس والقمر خَلقان مسخران لله ليس لهما سلطان في غيرهما (حجر، صفحة 528/2).

وروى مسلم (5955) أنه بينما الصحابة جلوس ليلة مع النبي-ﷺ-رمي بنجم فاستنار، فقال لهم-ﷺ-: **[مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟]**، قالوا: كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم. فقال-ﷺ-: **[فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِه...]**.

وسؤاله-ﷺ-لم يكن للاستعلام لأنه كان عالما بذلك؛ بل لأن يجيبوا عما كانوا يعتقدونه في الجاهلية فيزيله عنهم ويقلعه عن أصله. (المباركفوري، صفحة 65/9)

إن هذه الأحاديث تؤكد أن الهدي النبوي إنما قصد نقض التصورات البالية، ونشر العقائد الصحيحة الموافقة للفطرة السليمة حتى يتطابق الوجدان والبيان وهي خطوة في مسيرة الإصلاح المنشود.

ولا جرم أن أمة ينشأ اعتقاد دينها على هذه الأصول تنشأ لا محالة على عزة النفس، والاهتمام بالاعتماد على استجلاب الأشياء من أسبابها، ورجاء الإعانة والبركة من الخالق، وذلك يدرب على قوة الإرادة والشعور بالرفعة عن التضليل والأوهام (عاشور م.، أصول النظام الاجتماعي ، صفحة 51).

3/–آلية تسديد الفهم ودفع الشبهات.

الشبهات التي ترد على العقل خاصة في مجال الغيب، تؤثر على رؤيته للأشياء، وتعيقه عن الوصول إلى الحقيقة، بل تشوش عليه، وتخلق لديه اضطرابا يمنعه من التفكير السوي، تفاديا لهذا، كان-ﷺ-يبادر بتصحيح الفهوم الخاطئة، ورد الشبهات بالحجة والبرهان.

روى الشيخان (6142–2684) أن النبي-ﷺ-قال: **[مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ]**، فقالت عائشة: يا نبي الله! أكراهية الموت؟ فكلنا يكره الموت، فقـــال: **[لَيْسَ كَذَلِكِ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ...]**.

حملت عائشة قوله-ﷺ-: **[لِقَاءَ اللَّهِ]**على الموت، فاستشكلته لتعارضه في الظاهر مع ما جبلت عليه النفوس البشرية؛ مؤمنة كانت أو كافرة، من حب البقاء والتطلع إلى الخلود، والنفور من الموت وكراهية الفناء، فوضح-ﷺ- المقصود ورفع الإشكال والغموض وقوَّم الفهم.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 15-33 Date of Publication : 21-12-2022

واستشكل أعرابي قوله-ﷺ-: [**لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ**]، فقال: يا رسول الله! فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها؟ قَالَ: [**فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟**]".

فقطع-ﷺ-حجتهم، وأزاح شبهتهم بكلمة واحدة: [**فمن أعدى الأول؟**]، ومعنى ذلك: أن البعير الجرب الذي أجرب هذه الصحاح-على زعمهم-من أين جاءه الجرب؟ أمن بعير آخر؟ فيلزم التسلسل، أو من سبب غير البعير؟ فهو الذي فعل الجرب في الأول والثاني، وهو الله تعالى الخالق لكل شيء، والقادر على كل شيء (القرطبي، صفحة 97/12).

وهو جواب بليغ اعتمد فيه- ﷺ-البرهان العقلي والدليل القطعي فاستأصل الشبهة من أصلها، قال **القرطبي**: "وفيه دليل على جواز مشافهة من وقعت له شبهة في اعتقاده بذكر البرهان العقلي" (القرطبي، صفحة 98/18).

وفي الصحيحين (5429-2173): "سأل رسولَ الله-ﷺ-ناس عن الكهان، فقال: [**ليس بشيء**]. فقالوا: يا رسول الله! إنهم يحدثونا أحيانا بشيء فيكون حقا، فقال رسول الله-ﷺ-: [**تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنْ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا مِن الْجِنِّيِّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ**]"

استشكل السائل عموم قوله: [**ليس بشيء**]، لأنه فهم أنهم لا يصْدقون أبدا، فأجابه-ﷺ- بأن الغالب على أحاديثهم الكذب والدجل، وأن حقيقة صدقهم استراق الجني السمع من كلام الملائكة، ثم إلقاؤه في أذن الكاهن.

إجمالا لمضمون هذا المبحث أقول: الهدي النبوي في إصلاح الاعتقاد يقوم على تحرير العقل من الأوهام والخرافات، ودعوته إلى عقيدة التوحيد التي تتوافق والفطرة السوية، والتحذير من الشرك وسد ذرائعه، إضافة إلى تصحيح الفهوم ودفع الشبهات التي تعلق بالأذهان، خاصة في مجال الغيب.

المبحث الثاني: الآليات المقاصدية لإصلاح التفكير وتأثيرها على صلاح العقل في السنة النبوية.

إصلاح التفكير هو إصلاح النظر العقلي "فيما يرجع إلى الشؤون في الحياة العاجلة والآجلة، لتحصيل العلم بما يجب سلوكه للنجاح في الحياتين". (عاشور م.، أصول النظام الاجتماعي ، صفحة 51).

فالتفكير السليم هو التفكير الذي ينظر في عواقب الأمور، فيؤمّن لصاحبه نفع الدارين ويدفع عنه ضررهما، وأما التفكير السقيم فهو الذي يورد صاحبه موارد الهلاك، وفي حديث النبي-ﷺ-في الصحيحين (6112-7684) إشارة إلى ذلك، حيث قال: [**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ**].أي لا يتطلب معناها، ولا يتثبتها بفكره ولا يتأملها. (حجر، صفحة 310/11)

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 15-33 Date of Publication : 21-12-2022

ولما كان للتفكير هذه الأهمية، مارسه النبي–ﷺ–في حياته وحث عليه.

فعند مسلم (1850) أن حذيفة قال: "صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ–ﷺ–ذَاتَ لَيْلَة، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ،

فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَة، ثُمَّ مَضَى...يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ..."

فاسترساله–ﷺ– وتطويله إنما كان بدافع التأمل والتدبر لما يتلوه، "فهذه الكيفية التي صدرت عنه في هذه الصلاة، إنما كانت منه بحسب وقت صادفه، ووجد وجده، فاستطاب ما كان فيه، واستغرقه عما سواه" (القرطبي، صفحة 117/18) .

حيث جمع–ﷺ–بين القراءة، وبين الذكر، وبين الدعاء، وبين التفكر؛ لأن الذي يسأل عند السؤال، ويتعوّذ عند التعوذ، ويسبح عند التسبيح، لا شك أنه يتأمل قراءته ويتفكر فيها، فيكون هذا القيام روضة من رياض الذكر؛ قراءة وتسبيحاً ودعاءً وتفكراً (العثيمين، صفحة 326)

وأخرج الشيخان(4293–1828) عن ابن عبّاس–رضي الله عنه–قال: "...فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾..."

وفي رواية ابن حبان(620)قال–ﷺ–: [وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا].

نظرته–ﷺ–إلى السّماء هي نظرة تفكر وتدبر جمعت بين آية من آيات الكون المنظور؛ السماء، وآية من آيات كتاب الله المسطور.

وفي الحلية والصحيحة(1788)عن ابن سلام–رضي الله عنه–قال: "خرج رسول الله–ﷺ–على ناس من أصحابه وهم يتفكرون في خلق الله–عز وجل–، فقال: [فِيمَ تَتَفَكَّرُونَ؟]قالوا: نتفكر في الله. قال: [**لا تفكروا في الله وتفكروا في خلق الله**]"، وهي دعوة صريحة إلى إعمال العقل والتفكر في خلق الله.

وصلاح التفكير في السنة مرتبط أساسا بصلاح المعتقد، قال **ابن عاشور**: " فالله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم قد أودع في فطرته قوة الفكر المصيب، فإذا نشأ على الاعتقاد المصيب ارتاض عقله بقوانين الفكر المصيب، وإذا نشأ على ضد ذلك سخر عقله لاتباع طرائق الخطأ في التفكير، وقبول التعاليم الضالة". (أصول النظام الاجتماعي، صفحة 47)

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Date of Publication : 21-12-2022 pages: 15-33 Year: 2022 N°: 03 Volume: 36

إن إصلاح الاعتقاد أكثر الآليات فاعلية في استقامة الفكر، والنأي به عن مهاوي الضلال، فالعقيدة من توجه الفكر وتضبط حدوده، وتحدد أهدافه، إضافة إلى آليات أخرى وظفها المصطفى-ﷺ-، منها:

1/-آلية الترغيب في العلم والإشادة بأهله.

العلم نور العقول، ونبراسها إلى الحق، ووسيلتها لتوسيع مداركها، وقدراتها على الفهم والتمييز، وأهم آلياتها لصيانة التفكير من الانحراف والزلل، فالعقل بدون العلم النافع فاقد لأهلية الإدراك، إذ لا يكتمل هذا الأخير إلا به، والسنة حافلة بالأحاديث المرغبة في تحصيل العلم ونشره، والمُشيدة بفضّل العلماء، منها:

ما رواه أبوداود(3641)، وصححه ابن حبان(21763) أن الرسول-ﷺ-قال: [**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**].

وقال-ﷺ-فيما رواه الشيخان (100–6971): [**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**].

وفيهما الحث على حفظ العلم ولزومه والاشتغال به، وأن الانصراف عنه إيذان بذهابه، وتصدر الجهلاء، الأمر المنذر بتفشي الفساد والزيغ والضلال. (النووي، صفحة 177/1).

فأصل الانحراف العقدي للبشرية إنما كان بسبب ذلك، فعند البخاري (4636) عن ابن عباس-رضي الله عنهما-أنه قال: "**صَارَتْ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ؛ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ...أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ**".

كان هذا الانحراف الخطير بذهاب بعض العلم- علم تلك الصور بخصوصها-، فكيف بالحال إذا ذهب العلم وعمّ الجهل؟

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 36	العدد: 03	السنة: 2022	الصفحة: 15–33	تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36	N°: 03	Year: 2022	pages: 15-33	Date of Publication : 21-12-2022

وكان-ﷺ-يستعيذ من علم لا نفع فيه، فكان-ﷺ-يقول فيما رواه مسلم (7081): [**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ...**].

2/–آلية حفظ العقل والحرص على حضوره بالنهي عما يغيّبه.

نهى الشارع الحكيم عن كل ما يعطل العقل عن أداء وظيفته حسيا كان أو معنويا.

– **أما المغيب الحسي** فعلى غرار الخمر وكل ما يذهب العقل مما أسكر قليله أو كثيره، فالخمر منشأ كل غي كما جاء على لسان جبريل-عليه السلام-في الحديث الصحيح أنه-ﷺ-قال: [**...وَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا لَبَنٌ وَالْآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ لِي: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ**].

وقد تظافرت الأحاديث على تحريمها، فروى الشيخان (1688–7745) أن عُمَرَ قال: "... نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ... وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ". غطاه أو خالطه فلم يتركه على حاله، فكل مسكر مفقد للوعي، ذاهب بالعقل كله أو بعضه يسمى خمرا (حجر، صفحة 47/10)، وهو صريح في بيان علة تحريم الخمر، ومعمم لحكمها في كل ما اشترك معها في ذلك، قليلا كان أو كثيرا.

– **وأما المغيب المعنوي**، فما يؤثر على التفكير منه كثير، أشده وقعا:

أ– **الغضب والهمّ وشدة الخوف** وكلها مؤثرات نفسية تعيق العقل عن التفكير الصحيح، وتمنعه من رؤية الحقائق، نهى النبيّ-ﷺ-عن بعضها واستعاذ من بعضها.

فنهى-ﷺ-عن الغضب، فقال فيما أخرجه الشيخان (5765–6463): [**لَا تَغْضَبْ**]، وأثنى على من يتحكم بتصرفاته ولا يستسلم لغضبه، ففي الصحيحين (5763–6809) قال -ﷺ-: [**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**].

ولما كان الغضب مظنة فساد العقل، واختلال الفهم، وتشوش الفكر، نهى النبي-ﷺ-الحاكم أن يقضي بين الناس في حالة الغضب، وعداه الفقهاء بهذا المعنى إلى كل ما يحصل به تغير الفكر، كالجوع والعطش المفرطين وغلبة النعاس وسائر ما يتعلق به القلب تعلقا يشغله عن استيفاء النظر، فإنه لما نهى عن الحكم حالة الغضب فُهم منه أن الحكم لا يكون إلا في حالة استقامة الفكر، فكانت علة النهي تغير الفكر. (حجر، صفحة 138/13).

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Date of Publication : 21-12-2022 pages: 15-33 Year: 2022 N°: 03 Volume: 36

لذلك كره-ﷺ-الصلاة بحضرة الطعام، وكل ما يمنع الخشوع، فقال فيما رواه مسلم (1274): [**لا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ وَلَا وهُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ**]".

وتعوذ-ﷺ-من الهمّ والحزن، وكلاهما من أسقام القلوب، فإذا نزلت بها ولزمتها، أخرجتها عن حد التوازن والاعتدال في النظر إلى ما حولها، الأمر الذي يؤثر سلبا على الفكر؛ فلا يرى الأحداث إلا بعين حزينة على الماضي، جزعة من المستقبل، عاجزة عن التعامل مع الحاضر لفقدها بوصلة التمييز بين الخير والشر.

ب– التقليد، وهو اتباع الآخر من غير دليل، وليس ذلك طريقا إلى العلم فهو عبارة عن محاكاة للآخر في أقواله وأفعاله ومعتقداته من غير تدبر أو تقص الدليل، وهو داء يصيب الفكر بالعقم، وتقف بالعقل عند حدود ما هو مألوف، فتعطل منفعته، وتمنعه من الاجتهاد والإبداع، لذلك لم يعتبره العلماء علما ولا طريقا إلى تحصيله.

وفي استنكاره والنهي عنه وردت أحاديث صريحة العبارة أو واضحة الإشارة منها:

قوله-ﷺ-في الصحيحين (1903–7395): [**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ...أَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ**...].

وفي الحديث استنكار ضمني للتقليد، فما صد الكافر والمنافق عن الهدى، وأوردهما موارد الهلاك إلا اتباع الغير دون بينة.

وفي الصحيحين (3269–6952) قال-ﷺ-محذرا ومستنكرا ما سيؤول إليه حال أمته بعده من شدة تقليدها للأمم السابقة: [**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**].

وهي صورة تعكس مدى غفلة الأمة، وانحطاط تفكيرها، وغياب وعيها.

وفي الحديث النهي عن اتباعهم، والاقتداء بهم فيما نهى عنه الشرع وذمه. (عياض، صفحة 261/5).

وجاء النهي عن التقليد صريحا فيما حسنه الترمذي (2007)، أن النبي-ﷺ-قال: [**لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا**...].

هذا ولئن اختلف في هذه الأحاديث المقلِّد المستنكَر تقليده، ومجال التقليد، فإن المشترك في جميعها استقباح الفعل ذاته وهو التقليد.

في حين رغب-ﷺ-في الاجتهاد ودعا إليه، فقال فيما رواه الشيخان (4584–6919): [**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**].

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 15-33 Date of Publication : 21-12-2022

ج– الاسترسال مع الوساوس، واتباع الظن والهوى، فذلك من الآفات التي تفسد العقل وتذهب صفاءه، وتشوش الذهن فتمنعه من التفكير السليم، والفهم الرشيد، فالوسوسة من عمل الشيطان؛ قال–ﷺ–فيما أخرجه الشيخان(3102–362): **[يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولَ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ، فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ]**

وما كان مصدره الشيطان فمآله لا محالة إلى الغواية والضلال، لذلك حذر المصطفى–ﷺ–من الاسترسال مع وساوسه التي ما يريد بها إلا إفساد دين المرء وعقله، وحث على اللجوء إلى الله في دفعها، والاشتغال بغيرها، فإذا فعل ذلك وكف عن مطاولته اندفع (حجر، صفحة 340/6)

فهذه دعوة إلى وأد الخواطر وأحاديث النفس وعدم الركون إليها، واعتبر استنكار الكلام بها واستعظام أمرها محض الإيمان ودليل كماله وخلوصه، فقد روى مسلم (357) أن ناسا من أصحاب النبي–ﷺ–"سألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: **[وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ]**، قالوا: نعم، قال: **[ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ]**"

وكما أمر–ﷺ–بالتعوذ من الوساوس والإعراض عنها، أمر بطرح الشك والتمسك بما هو مستيقن، فقال–ﷺ–فيما رواه مسلم (1300): **[فَلْيَطْرَحْ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ]**، وروى الشيخان (3921–1302) أنه–ﷺ–قال: **[...وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ...]**. والتحري عند العلماء هو البناء على اليقين (عياض، صفحة 508/2)

يَنْصَرِفُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا]".

ويعضد هذا المعنى ما رواه الترمذي مرفوعا وصححه (2518): **[دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ]**.

وقال–ﷺ–فيما رواه الشيخان (5719–6701): **[إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ]**

وأمر بالرجوع إلى التوحيد، وإشغال القلب به؛ لتدفع الشبهات، فقال: **[قل: آمنت بالله]**، فهو يقين المؤمن الذي لا ريب فيه.

3/–آلية مراعاة قدرات العقل والنهي عن إرهاقه باستخدامه فيما يتجاوز حدوده.

فعلى الرغم من مكانة العقل وأهميته في السُنة، إلا أن الله خلق فيه من العجز عن إدراك عالم الغيب ما يجعله بحاجة إلى مصدر مستقل للمعرفة يوجهه، ويمده بالحقائق التي يصبو إليها وهو الوحي، كما يجعل في إقحامه فيما

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 15-33 Date of Publication : 21-12-2022

يتجاوز قدراته إرهاقا له وإهدارا لطاقاته، وقد جاء الهدي النبوي بالنهي عن ذلك والتحذير منه، فقال-ﷺ-: [**فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ**]، لأن الاسترسال في التفكير في ذلك لا يزيد المرء إلا حيرة. (حجر، صفحة 341/6).

وقال-ﷺ-: [**لا تفكروا في الله**]. فذلك مما تتحير فيه العقول والأنظار، ولا تحيط به الأفكار.

قال **الغزالي**: "النظر إلى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل...فإن أكثر العقول لا تحتمله" (إحياء علوم الدين، صفحة 434/4).

وحذر-ﷺ-من اتباع المتشابه، لأنه موضع خضوع العقول لباريها استسلاما واعترافا بقصورها (حجر، صفحة 211/8)،

4/–آلية تدريب، وتمرين العقل على التفكير.

اعتمد المصطفى-ﷺ- فيها مجموعة من الإجراءات التطبيقية، منها:

أ/–السؤال: وهو أكثر الأساليب شحذا للأذهان وإثارة للعقول، وتحفيزا لها على التفكير والنظر، طلبا للحقائق، لذلك كان-ﷺ-يبادر أصحابه أحيانا بالسؤال، وهو الأسلوب الأمثل في اكتساب العلم وحفظه، فقد روى الشيخان (61–7276) عن ابن عمر أنه-ﷺ-قال: "[**إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟**]فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: [**هِيَ النَّخْلَةُ**]"

وفي الحديث استحباب القاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم ويرغبهم في الفكر (النووي، صفحة 145/17)

ب/– ضرب الأمثال، فهذا الأخير يربي العقل على التفكير الصحيح، والقياس المنطقي السليم؛ فمعظم الأمثال تنطوي على قياس تذكر مقدماته، ويطلب من العقل أن يتوصل إلى النتيجة التي يسكت عنها أحيانا، بل تتم الإشارة إليها، ويترك للعقل معرفتها (النحلاوي، صفحة 203)

وفي ترك ذكر العلاقة بين الممثل له والممثل به، ثم ترك النتيجة تدريب للفكر وتقوية له في توثيق الروابط المنطقية بين الأشياء، كما يفيد بذلك في توسيع مدارك التفكير بتبسيط المركب، وتركيب المبسط بجعل القريب مألوفا والعكس، وهو من المبادئ التي يستند عليها أسلوب تأليف الأشتات الذي يعتبر من أساليب تنمية التفكير (حنايشة، صفحة 101).

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Date of Publication : 21-12-2022 pages: 15-33 Year: 2022 N°: 03 Volume: 36

وقد ضرب النبي-ﷺ-العديد من الأمثال بأساليب مختلفة ومتنوعة، منها:

ما رواه الشيخان(79–6093) عن النبي-ﷺ-أنه قال: [**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ...**].

وفي الحديث السابق ضرب المصطفى-ﷺ-للمسلم مثلا، فشبهه بالنخلة، "وضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام وتصوير المعاني لترسخ في الذهن ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة" (حجر، صفحة 147/1)

ج/– القصة، و لم ترد في السُنّة لمجرد نقل وقائع وسرد أحداث مضت، وإنما تم توظيفها لأغراض تتوافق وطبيعة هذه الرسالة ومقاصدها السامية، منها تقويم الفهم، وترسيخ الوعي، وغرس القيم والمبادئ الصحيحة، وتنوير العقول وتحفيزها على التفكير السليم، والاتعاظ واستخلاص العبر بالنظر إلى سنن الله-ﷻ-في الخلق وفي الكون.

فالسُنَّة إذ تقدم في قصصها "للعقل شواهد الألوهية الخالقة، وأدلة القدرة المطلقة، فليس لتعجيزه وتعطيله، بل لإثارة ملاحظته، حتى لا ينظر إليها بعين غيره، فإن الملاحظة التأملية تنشئ الفكرة، والفكرة تهيء التجربة، وتقود من الأثر إلى المؤثر" (نقرة، صفحة 471)

ومما صح عن النبي-ﷺ-في هذا، قصة الرجل الذي أمر أبناءه بحرقه بعد موته وقد رواها الشيخان (7067–7156) وفيها دعوة إلى التفكر في قدرة الله على الخلق والإحياء.

د/–الاستشارة والمحاورة، ذلك أن النبي-ﷺ-على الرغم من عصمته، وعلو مقامه لم يكن مستبدا برأيه، متفردا بقراراته؛ بل كان يشاور أصحابه فيما لم يرد فيه نص مما يترل به من نوازل، ويحاورهم، ويصغي إليهم، ويأخذ برأيهم، وهو بفعله هذا يحفز فيهم ملكة التفكير ويعودهم عليه، ويخلق فيما بينهم فضاء للتواصل الفكري وتبادل الآراء، ومن ثم تلاقح الأفكار وتطويرها، تاركا لهم حرية إبداء وعرض تصوراهم، وسيرته حافلة بالمواقف التي تؤكد ذلك، وكلمته-ﷺ- للناس: [**أَشِيرُوا عَلَيَّ**] تشهد بذلك.

ففي حادثة الإفك كما روى الشيخان (4479–7198) قام رسول الله-ﷺ-خطيبا فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: [**أَمَّا بَعْدُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أُنَاسٍ أَبَنُوا أَهْلِي...**]

واستشار يوم بدر أصحابه، "فقال: [**أَشِيرُوا عَلَيّ فِي الْمَنْزِلِ**].

وهي أحاديث تؤكد: "فضل الاستشارة لاستخراج وجه الرأي" (حجر، صفحة 352/5).

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 15-33 Date of Publication : 21-12-2022

إجمالا أقول: إن الترغيب في طلب العلم والإشادة بأهله، والنهي عن كل ما يؤدي إلى غياب العقل وتعطيله، والحرص على أن يكون العقل دائم الحضور، والنهي عن إرهاقه واستخدامه فيما يتجاوز قدراته مما ليس إلى تحصيله سبيل إلا الوحي؛ والحرص على تنمية قدرته على التفكير من خلال توظيف السؤال وضرب الأمثال، والقصة، والمحاورة والاستشارة، كل هذا آليات اعتمدها –ﷺ–في عملية إصلاح الفكر، بالإضافة إلى إصلاح الاعتقاد الذي يعد المنطلق الرئيس لها، و لعملية إصلاح العقل برمتها.

الخاتمـــة:

في نهاية هدا المقال خلصت إلى النتائج الآتية:

1/–إصلاح العقل في السنة النبوية يقوم على أساسين، هما:

– إصلاح الاعتقاد ويراد به تنوير العقل بالمفاهيم الصحيحة الموافقة للفطرة السليمة، وتطهيره من التصورات الباطلة.

– وإصلاح التفكير، أي إصلاح النظر العقلي فيما يرجع إلى شؤون الحياة العاجلة والآجلة. على أن إصلاح الاعتقاد هو المنطلق الرئيس لإصلاح التفكير.

2/– يكمن الفرق بين الإصلاحين في كون الإصلاح الاعتقادي مبني على الإذعان والتسليم في المسائل العقدية التي ثبتت بالأخبار الصادقة عن طريق الوحي المنقول، التي لا مجال للاجتهاد فيها، ومجاله عالم الغيب، وكون إصلاح التفكير مبني على النظر العقلي والبحث في المسائل القابلة للإدراك، ومجاله عالم الشهادة.

3/– يقوم إصلاح الاعتقاد في السنة النبوية على ثلاث آليات، هي: تصحيح المعتقد بالدعوة إلى التوحيد، ونقض التصورات الباطلة، وتحرير العقل من الخرافة والوهم، إضافة إلى تسديد الفهم ودفع الشبه التي ترد على العقل.

4/– إصلاح التفكير في السُنّة مبني على الترغيب في العلم والإشادة بأهله، وحفظ العقل، والحرص على حضوره بالنهي عما يغيبه، أو يعطله حسيا كان كشرب الخمر، أو معنويا كالغضب والهم وشدة الخوف، كذا التقليد واتباع الظن والهوى، والاسترسال مع الوساوس، إضافة إلى مراعة قدراته، والنهي عن إرهاقه بإقحامه فيما يتجاوز إمكاناته، ويتم إصلاح التفكير أيضا من خلال تدريب العقل وتنمية مهاراته على ذلك، باستخدام السؤال وضرب الأمثال، والقصة، والاستشارة والمحاورة وكلها أساليب لإثارة العقل وتحفيزه على النظر والتدبر والبحث.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 15–33 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 15-33 Date of Publication : 21-12-2022

5/–تعددت الآليات التي وظفتها السنة النبوية في إصلاح العقل وتنوعت مجالاتها الأمر الذي يؤكد أن هذا الأخير مقصد من مقاصدها.

المراجـــع:

إبراهيم مصطفى. المعجم الوسيط. دار الدعوة.

أحمد القرطبي. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.

أحمد بن فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة. دار الفكر.

التهامي نقرة. (1974). سيكولوجية القصة في القرآن الكريم. تونس: الشركة التونسية للنشر.

الراغب الأصفهاني. (بلا تاريخ). مفردات ألفاظ القرآن. دمشق: دار القلم.

شمس الدين السخاوي. (1403). فتح المغيث شرح ألفية الحديث (الطبعة 1). لبنان: دار الكتب العلمية.

شهاب الدين العسقلاني ابن حجر. (1379). فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.

عبد الرحمن المعلمي. (1982). الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء البيان من الزلل والمجازفة. بيروت: عالم الكتب.

عبد الرحمن النحلاوي. (2007). أصول التربية الإسلامية (الطبعة 25). دار الفكر.

عبد الكريم حامدي. (2008). مقاصد القرآن من تشريع الأحكام (الطبعة 1). بيروت: دار ابن حزم.

عبد الوهاب حنايشة. (2009). التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم(رسالة ماجستير). نابلس.

عياض بن موسى بن عياض. (1998). إكمال المعلم بفوائد مسلم (الطبعة 1). مصر: دار الوفاء.

محمد أبو حامد الغزالي. إحياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة.

محمد الطاهر بن عاشور. (1997). التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون.

محمد الطاهر بن عاشور. (2011). مقاصد الشريعة. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.

محمد الطاهر بن عاشور. أصول النظام الاجتماعي (الطبعة 2). تونس: الشركة التونسية للتوزيع.

محمد المناوي. (1410). التوقيف (الطبعة 1). بيروت: دار الفكر.

محمد بن صالح العثيمين. (2002). شرح رياض الصالحين (الطبعة 1). القاهرة: دار السلام.

محمد بن عبد الرحمن المباركفوري. تحفة الأحوذي. بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد بن منظور. (1988). لسان العرب (الطبعة 1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

محمد عمارة. (2008). مقام العقل في الإسلام (الطبعة 1). شركة نهضة مصر.

محمد قلعهجي. (1988). معجم لغة الفقهاء (الطبعة 2). بيروت: دار النفائس.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 36	العدد: 03	السنة: 2022	الصفحة: 15–33	تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36	N°: 03	Year: 2022	pages: 15-33	Date of Publication : 21-12-2022

يحيى بن شرف الدين النووي. (1392). المنهاج شرح صحيح مسلم (الطبعة 2). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

Les références:

Ibrahim Mustafaa. Almuejam alwasit. Dar Aldaewa.

Ahmad Alqurtubii. Almufhim lima Ushakil Min Talkhis Kitab Muslim.

Ahmad ben Faris. (1979). Muejam Maqayis Allughati. Dar Alfikr

Altahami Naqra. (1974). Saykulujiat Alqisat Fi Alquran Alkarim. Tunis: Alsharika Altuwnusia Iilnashr.

Alraaghib Al'asfahani. Mufradat Alfaz Alquran. Dimashq: Dar Alqalam.

Shams Aldiyn Alsakhawi. (1403). Fath Almughith Sharah Alfiat Alhadith (Altabea 1). Iubnanu: Dar Alkutub Aleilmia.

Shihab Aldiyn Aleasqalani Ibn Hajar. (1379). Fath Albari Sharh Sahih Albukhari. Bayrut: Dar Almaerifati

Eabd Alrahman Almuealimi. (1982). Al'anwar Alkashifa Iima Fi Kitab Adwa Albayan Min Alzalal Walmujazafat. Bayrut: Ealam Alkutub.

Eabd Alrahman Alnahlawi. (2007). Usul Altarbiat Al'islamia (Altabea 25). Dar Alfikri.

Eabd Alkarim Hamdi. (2008). Maqasid Alquran Min Tashrie Al'ahkam (Altabea 1). Bayrut: Dar Ibn Hazm

Eabd Alwahaab Hanayishata. (2009). Altafkir Wa Tanmyateh Fi Daw Alquran Alkirim(Risala majistir). Nablus.

Eyad ben Musaa ben Eyad. (1998). Ikmal Almaelim Bi Fawayid muslim (Altabeat 1). Masr: Dar Alwafa.

Muhamad Abu Hamid Alghazali.Ihya Eulum Aldiyn. Birut: Dar Almaerifati

Muhamad Altaahir Ben Eashur. (1997). Altahrir Wa Eltanwir. Tunis: Dar sehnun.

Muhamad Altaahir Ben Eashur. (2011). Maqasid Alsharieat. Bayrut, Lubnanu: Dar alkitab Allubnani.

Muhamad Altaahir Ben Eashur. Usul Alnizam Aliajtimaei (Altabeat 2). Tunus: Alsharikat Altuwnusiat Liltawzie.

Muhamad Almanawi. (1410). Altawqif (Altabeat 1). Bayrut: Dar Alfikr.

Muhamad Ben Salih Aleuthaymin. (2002). Sharh Riad Alsaalihin (Altabeat 1). Alqahirat: Dar Alsalam.

Muhamad Ben Eabd Alrahman Almubarikifuri. Tuhfat Al'ahwadhi. Bayrut: Dar Alkutub Aleilmia.

Muhamad Ben Manzur. (1988). Lisan Alearab (Altabeat 1). Bayrut: Dar Ihya Alturath Alearabi.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 36	العدد: 03	السنة: 2022	الصفحة: 15–33	تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36	N°: 03	Year: 2022	pages: 15-33	Date of Publication : 21-12-2022

Muhamad Eamara. (2008). Maqam Al Eaql Fi Al'Islam (Altabeat 1). Sharikat Nahdat masra.

Muhamad Qaleahji. (1988). Muejam Lughat Alfuqaha (Altabeat 2). Bayrut: Dar Alnafayis.

Yahyaa Ben Sharaf Edyne Alnawawi. (1392). Alminhaj Sharh Sahih Muslim (altabeat 2). Bayrut: Dar Ihya Alturath Alearabi.